حسن الخلق والمعاملة

في وصية سيدنا رسول الله ﷺ لسيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، التي أمره فيها بتقوى الله تعالى وأن يتبع السيئة الحسنة تمحها، جاء فيها «**وَخَالِقِ النَّاس بِخُلق حَسَن**» ونحب أن يدور حديثنا اليوم حول هذا الأمر الكريم، المقصود به، وكيفية تطبيقه وتنفيذه، والآثار التي تعود على الأمة من اتصاف أفرادها به؟

بسم الله الرحمن الرحيم. إن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، ما ترك أمراً يقربنا من ربنا سبحانه وتعالى إلا وأمرنا به، وما ترك شيئاً يبعدنا عن ربنا سبحانه وتعالى إلا وحذرنا منه ونهانا عنه، ومن أهم وصاياه الجامعة في هذا الصدد ما جاء به في وصيته لابن عمه وهي وصية للأمة كلها، حيث يأمر فيها صلوات الله وسلامه عليه، بتقوى الله تعالى حيثما كان، وأن يتبع السيئة الحسنة، كي يمحو الله تعالى عنه السيئة إن وقع فيها، وأخيراً الأمر بحسن الخلق مع الناس «**وَخَالِقِ النَّاس بِخُلق حَسَن**».

إن حسن الخلق لا تخفى في الدين فضيلته، ويكفى في بيان ذلك أن الله سبحانه وتعالى امتدح به نبيه صلوات الله وسلامه عليه فقال: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ كما أن النبي ﷺ يقرر أن بعثته عليه الصلاة والسلام إنما تهدف إلى إتمام محاسن الأخلاق، وتعليم الناس محاسن الأخلاق، يقول صلوات الله وسلامه عليه: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَحَاسِنَ الْأَخْلَاقِ**»، فهذا الحصر لمهمة البعثة النبوية يوضح لنا مدى أهمية حسن الخلق، ومكانته وفضيلته بين الأخلاق الإسلامية، فهذا أكثر ما يصل به الناس إلى الجنة من بين الصفات والأخلاق المختلفة. يقول عليه الصلاة والسلام: أكثر ما يدخل الناس الجنة، تقوى الله وحسن الخلق. وهو خير ما أعطى الإنسان، يقول أسامة بن شريك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قلنا يا رسول الله ما خير ما أعطى للإنسان، قال: «حسن الخلق». بل لقد

قال الجنيد رحمه الله تعالى لأن يصحبني فاسق حسن الخلق أحب إليّ من أن يصحبني قارئ سيئ الخلق.

ولكن كيف يتمثل الإنسان هذه الصفة، ويكون من المتخلقين بها؟

لقد سأل أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سيدنا رسول الله ﷺ سؤالاً بهذا المضمون فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما قال له الرسول الكريم يا أبا هريرة: عليك بحسن الخلق. قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وما حسن الخلق يا رسول الله؟ قال صلوات الله وسلامه عليه: **«تَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ»**. فبهذه الخلال الثلاثة يكون المرء متصفاً بحسن الخلق، فإذا وصل الإنسان أهله وإخوانه ولم يكتف بذلك بل وصلهم أيضاً إذا قطعوه ومد جسور الألفة والمودة معهم، كان قائماً بخلة من الخلال الثلاث التي يجمعها حسن الخلق. وعندما يظلم المرء ولا ينتصر لنفسه بل يعفو عمن ظلمه، وهى صفة المتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والعافين عن الناس، وهو من باب أولى يتورع عن أن يظلم غيره من الناس. فهذه هي الخلة الثانية من الخلال الثلاث التي يمثلها حسن الخلق. والثالثة منها أن يصل الناس إذا وصلوه، فإن هم قطعوه لم يقطعهم، وإنما يصلهم، وإن هم حرموه لم يحرمهم، وإنما يودهم ويتحبب إليهم. فعلاقته بهم هي لله سبحانه وتعالى، وليس رداً لجميلهم، وحسن صنيعهم. فهذه هي الصفات التي إن تمثلها الإنسان كان متصفاً بحسن الخلق.

لكن ما هي الآثار والثمرات التي تعود على الفرد والجماعة من الاتصاف بحسن الخلق؟

إن الأخلاق في الإسلام قد تقررت لآثارها في علاقات الناس ولآثارها في طيب الحياة وبلهنيتها، ولم تقرر لذاتها، ولذا فإن كل خلق من الأخلاق، إنما تتحدد أهميته بناء على أثره في حياة الناس، وانعكاس الاتصاف به على واقعهم ووسائل معيشتهم،

وإن حسن الخلق من بين أخلاق الإسلام يمثل جماعاً لأخلاق الإسلام، ومن ثم فإن أثره على حياتهم سيكون كبيراً، ودوره في طيب الحياة سيكون واضحاً.

إن أهم ثمرة لحسن الخلق هي الألفة والمحبة والمودة التي تجمع بين الناس، كما أن الفرقة والتشتت هي ثمرة سوء الخلق. فحسن الخلق يوجب التآلف والتوافق والتحاب، بينما سوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر، وإذا سادت المحبة والمودة بين الناس، قويت علاقتهم، وقل نزاعهم وخصامهم أو انعدم، وبذلك سيتفرغون للأعمال المثمرة، ولا ينال بعضهم من بعض أذى أو تعطيل. ولو تمثل الناس حسن الخلق وتعاملوا به بينهم لزالت خصومتهم وقل تقاضيهم ونزاعهم، وتفرغوا لإثراء المجتمع وتقديم النفع، وبناء الحياة الطيبة ومجتمع المحسنين الذي يحقق أعلى درجات الرفاهية لأعضائه.

إن حسن الخلق ينعكس على الإنتاج زيادة ونماء، وينعكس على بيئة الأعمال فيجعلها مساندة للاستثمار، حيث ترتفع الكفاءة الحدية لرأس المال، فيقبل أصحابه على الاستثمار.

هذا في الدنيا، ومن ثمراته في الآخرة أنه يقرب صاحبه من مجلس النبي ﷺ يوم القيامة ويكسبه محبته كما أخبر صلوات الله وسلامه عليه فقال: ألا أخبركم بأحبكم إليّ وأقربكم مني مجالس يوم القيامة؟ قلنا بلى يا رسول الله قال: أحاسنكم أخلاقاً الموطؤون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون. ألا ما أروع ما يأتي به حسن الخلق، إذ لو لم يكن لحسن الخلق من ثمرة غير ذلك لكان حرياً بكل مسلم أن يحرص على الإتصاف به، فمحبة النبي ﷺ والقرب من مجلسه الكريم يوم القيامة، تعنى الوصول إلى أعلى المقامات، وسكنى أعلى الدرجات، ورضوان من الله أكبر، ولمثل هذا فليعمل العاملون، وفي مثل هذا فليتنافس المتنافسون. يقول النبي ﷺ: «إِنَّ أَثْقَلَ

مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ الْخُلُقُ الْحَسَنُ». إن النجاة في الدنيا والسعادة فيها يحققها حسن الخلق، وإن النجاة في الآخرة والفوز بالجنة يحققها حسن الخلق، ولهذا فإن الحريص على سعادة الدارين ـ الدنيا والآخرة ـ يحرص على أن يكون ذا خلق حسن، يألف الناس، ويألفونه، يحبهم ويحبونه، يحسن إليهم ولا يسئ إلى أحد، يعطيهم ولا يمنعهم، يعفو عمن يخطئ منهم في حقه، أملاً في أن يصل إلى ربه يوم القيامة وهو يملك أثقل ما يوضع في ميزانه، ألا وهو حسن الخلق.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا حسن الخلق، والقرب من نبيه الكريم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين